مها سيد عبد الرحمن

القبو

عالم الكتب

الجزء الأول

آلام مبرحة تجتاح جسده بالكامل، تمزق أوصاله بلا هوادة، أيقن أنها النهاية باتت وشيكة للغاية هذه المرة، فكرة واحدة أحكمت سيطرتها على عقله الشيطاني:

" سأخفي كل شيء، يجب ألا يعثر عليهم أحد! لن أموت وحدي!"

****

توقفت سيارة نقل الأثاث أمام المنزل على الناصية في نهاية الشارع والذي تحيطه الأشجار الكثيفة من كل اتجاه فلا يظهر منه سوى أجزاء بالكاد تُرى من بعيد، تليها مسرعة سيارة نديم السوداء، نزل منها متعجلاً ليُشرف على إدخال الأثاث إلى المنزل، بينما غادرت زوجته رَغَد السيارة تتأمل المنزل ذو الطابقين في مزيجٍ من الرهبة والإعجاب، فتصميمه ليس تقليدياً على الإطلاق، ليس به أي شُرفات ونوافذه جميعها يغطي زجاجها من الداخل والخارج شيش الحصيرة المصنوع من الألومنيوم والمصبوغ باللون الرمادي الفاتح، اللون ذاته لطلاء جميع الجدران الخارجية للمنزل، فيبدو للوهلة الأولى اثناء غلق النوافذ وكأنها جزء من الجدار!

التفتت رغد إلى الجهة المقابلة للمنزل والتي هي مجرد أرض خالية يتوسطها مبنى تحت الإنشاء، زفرت في ضيق وهي تغمغم:

-"لا أحد في الجوار!"

وقد اعتادت في منزلها القديم على صخب الشارع وزيارات الجيران، لاحظ نديم ملامح الضيق على وجهها فسارع بالذهاب إليها وبادرها بقوله:

-"أعلم أن المكان يبدو هادئاً أكثر من اللازم لكنك ستعتادين عليه مع الوقت، أذهبي لرؤيته من الداخل سيعجبك للغاية، فرؤيته على الطبيعة تختلف كثيراً عن الصور التي أرسلها لنا السمسار العقاري، كل ركنٍ فيه هو لوحة فنية بذاتها قد تم تنفيذها بدقة مذهلة في الألوان والديكورات، يبدو أن تصميمه قد استغرق وقتاً وجهداً كبيرين، على يقين أنك ستحبينه كثيراً"

أطرقت رأسها وهي تجيبه في أسف:

-"لولا ظروف عملك التي تغيرت فجأة لما وافقت على السفر وترك بلدتي أبداً!"

ربت على كتفها بامتنان قائلاً:

-"أعلم يا عزيزتي قدر التضحية التي قدمتها من أجلي، لذلك حرصت على أن يكون المنزل جميلاً حتى تحبيه وتعتادي عليه في وقتٍ قصير"

رمقته في عِتاب ثم اتجهت بخطواتٍ متخاذلة نحو مدخل المنزل، تابعها نديم بنظره حتى تأكد من دخولها ثم تنهد تنهيدةً عميقة وهو يتذكر السر الذي أخبره به السمسار والذي لم يجرؤ على اخبار رغد به حتى الآن!

عن صاحب المنزل الذي صممه بنفسه، وسكن فيه وحده ثلاث سنوات حتى عُثر - منذ ما يقارب الشهر- على جثته بعد وفاته بإسبوع كامل، حين أتى مُحصِّل الكهرباء ولم يجبه أحد لعدة أيامٍ متواصلة مما جعله يشك في حدوث شيء غير طبيعي، فهو على معرفةٍ وثيقة بصاحب المنزل ويعلم جيداً أنه لا يغادره إلا نادراً، ومما ضاعف شكوكه تلك الرائحة الكريهة التي تفوح منه، فقام بإبلاغ الشرطة وبالفعل قاموا بكسر باب المنزل بعد أن اتخذوا الإجراءات اللازمة، ليجدوا جثته تتوسط ردهة المنزل في مشهدٍ مفزع للغاية، وبعد تقرير الطب الشرعي الذي أثبت أن الوفاة طبيعية حدثت نتيجة لأزمة قلبية، ولا وجود لأي شبهه جنائية في الحادث.

تم تسليم المنزل للورثة من أبناء إخوته الذين فاجأهم تماماً أمر هذا المنزل، فلم يكونوا على علمٍ بوجوده من الأساس بعد انقطاع صِلَتِهم بعمهم منذ سنوات، ولم يكن أحد منهم يعرف عنه شيئاً، لكنهم اختلفوا في أمر بيعه فاكتفوا بتأجيره في الوقت الراهن!

كان نديم هو أول مستأجر للمنزل بعد وفاة صاحبه، وقرر عدم إخبار رغد بما عرفه، واكتفى بإخبارها بأنه أول مستأجر للمنزل فقط.

ظلَّت رغد تتأمل في إعجابٍ شديد تناغم الألوان والزخارف واللوحات المنتشرة في أرجاء المنزل، وهي تحدث نفسها في استغراب:

-"كيف يمكن لشخص أن يبذل كل ذلك الجهد في إعداد منزله ثم يعرضه للإيجار بدلاً من أن يسكن فيه ويستمتع به؟!"

ساعاتٌ مضت في نقل الأثاث وتوضيب الغرف، حتى قررت رغد الاكتفاء بما تم فعله في هذا اليوم على أن تستكمل ما تبقى في الغد فقد أصبحت في غاية الإرهاق، وضعت رأسها على وسادتها واستغرقت خلال بضع ثواني في سُباتٍ عميق.

استيقظت بعد منتصف الليل ونزلت إلى المطبخ في الطابق السفلي لتشرب بعض الماء، أضاءت مصباح المطبخ وأخرجت زجاجة ماء من الثلاجة، لكن قدميها تجمدا في مكانهما حينما اخترقت مسامعها طرقاتٌ ضعيفة قادمة من الأسفل، تتكرر كل بضع دقائق، جلست على ركبتيها ثم أخفضت رأسها إلى الأرض حتى التصقت أذنها بها تماماً، فاتسعت عيناها عن آخرهما وتجمدت الدماء في عروقها حينما تأكدت مما سمعته، ركضت إلى الأعلى وهي تنادي نديم الذي استيقظ من نومه مذعوراً بدوره يحدق فيها وهي تصيح قائلةً:

-"تعالى معي حالاً!"

لم تنتظر حتى تتلقى إجابة وجذبته من ذراعه وهي تركض نحو الدور السفلي تحديداً إلى المطبخ، ونديم يركض معها وهو يحاول جاهداً فتح جفنيه الملتصقين ببعضهما، وقفا في منتصف المطبخ تماماً، مرت عدة دقائق ولم يسمعا أي شيء يذكر، زفر نديم في ضيق وهو يرمق رغد بنظرةٍ حانقة، فقالت بارتباك:

-"أقسم لك كان هناك صوت طرقاتٍ واضحة قادمة من الأسفل، لقد وضعت أذني على الأرض وتأكدت منها بنفسي"

أمسك نديم بكتفيها وقال في هدوء:

-"عزيزتي رغد، أنتِ مجهدةٌ للغاية لا أكثر! ما تقولينه مستحيل الحدوث فالمنزل ليس له قبو من الأساس، وأنتِ بنفسك تجولتِ في الحديقة الصغيرة المحيطة به ورأيتِ عدم وجود أي شيء سوى هذين الطابقين فكيف ومن أين ستأتي الطرقات؟!"

بدا كلامه منطقي تماماً، ورغم أنها سمعت الصوت بأذنيها إلا أنها قررت تأجيل النقاش في الأمر إلى الصباح.

****

في الصباح وقفت رغد بالمطبخ لتعد طعام الإفطار، وهي بين الحين والآخر تحاول الإنصات جيداً لعلها تسمع ذلك الصوت مجدداً، لكنها لم تسمع أي شيء مطلقاً، حتى

أقنعت نفسها بأن نديم على حق وما سمعته كان جزء من حلم استغرقت فيه من فرط تعبها لا أكثر!

أنهيا طعام الإفطار ثم تابعا توضيب المنزل، كان الدور العلوي مكون من ثلاثة غرف وحمّامين، والدور السفلي به غرفة واحدة ومطبخ وردهة واسعة، وأثناء انهماك رغد في التوضيب لاحظت شيئاً غريباً للغاية! جدران الناحية الشرقية من المنزل بأكملها في الطابقين لا توجد بها نافذة واحدة رغم وجود نوافذ من الخارج، سارعت بإخبار نديم فخرجا معاً إلى الحديقة ليتأكدا من الأمر، وبالفعل وجدا النوافذ التي يغطي زجاجها شيش الحصيرة المصنوع من الألومنيوم من الخارج، نافذتين في كل طابق، حاول نديم فتح إحداها بيده وتدقيق النظر إلى الزجاج من خلفها، لكنه لم يستطع! فهي مغلقة من الداخل، كما يوجد من خلف الزجاج الشيش ذاته فيحجب الرؤية عما يوجد خلفه كلياً!

ركض عائداً إلى الداخل فلم يجد أثراً لأية نافذة في الجدار نفسه! تضاعفت حيرته ولم يجد تفسيراً مقنعاً ليجيب به تساؤلات رغد التي كانت تحملق فيه ذاهلةً في انتظار الإجابة، تنحنح قليلاً ثم قال في خفوت:

-"يبدو أن النوافذ بالخارج مجرد شكل فقط ليست نوافذ حقيقية، وليس لدي أدنى فكرة لمَ قد يفعل أحدهم شئياً كهذا؟! فلست أنا من صمم المنزل!"

أطالت رغد النظر إليه بعض الشيء وقد تذكرت أمر الطرقات وبدأت تشعر بأن هناك شيءٌ غير طبيعي يخفيه هذا المنزل، لكنها آثرت الصمت وعادت إلى الطابق العلوي لتنهي ما كانت تفعله.

لم تمض دقائق معدودة حتى سمعت صوت نديم ينادي عليها بنبرةٍ محملةٍ بالارتباك الواضح، نزلت رغد راكضةً نحوه لتتجمد الدماء في عروقها وهي ترى ملامح الفزع تكسو وجهه وهو يقول بصوتٍ مرتجف:

-"لقد سمعتها! الطرقات القادمة من الأسفل! أنتِ على حق يوجد شيءٌ ما تحت هذا المنزل!"

الجزء الثاني

خيم الصمت والوجوم على كل من نديم ورغد طوال اليوم، وتظاهر كل منهما بانهماكه في إكمال توضيب المنزل وانهاء ما يفعله والحقيقة أن كل منهما كان غارق حتى أخمص قدميه في تفكيرٍ عميق!

ظلَّ نديم يلوم نفسه على استعجاله في السكن بهذا المنزل، لماذا لم يعطِ بحثه عن بدائل المزيد من الوقت؟! خاصةً بعد علمه بما حدث لصاحبه منذ قرابة الشهر، قد يكون المنزل مسكونٌ بالأشباح نتيجة موت صاحبه وبقائه بداخله أسبوع كامل بعد وفاته، كيف سيذهب للعمل غداً ويترك رغد وحدها بداخله؟!

رتل من الهمّ رزح على قلبه مع تذكره لتلك النقطة تحديداً، ولا يوجد أي مكانٍ آخر يمكن أن تذهب إليه حتى عودته، فقد تركا بلدتهما وكل من عرفاه يوماً من أهل وأصدقاء وجيران وقدما ليسكنا هنا وحدهما، شعر بالندم الشديد على قبوله عمله الجديد لكن ما الجدوى الآن ليس أمامه خيار آخر سوى استكمال ما بدأه لا سبيل للتراجع!

اما رغد فكان أمر النوافذ يسيطر على تفكيرها كلياً، وهي تحاول إيجاد تفسير لوجود تلك النوافذ من الخارج فقط، لماذا؟؟ ظل السؤال يتردد في عقلها دون توقف، ثم انتزعها من شرودها صوت نديم وهو يصيح قائلاً:

-"لقد عادت الطرقات ثانيةً!"

هرعت إليه وقد مضى بضع ساعات منذ أن سمعاها آخر مرة، أنصتا السمع جيداً ليتتبعا مصدرها تحديداً فلم تكن تصدر من المكان ذاته كل مرة، جاء صوتها من منتصف الردهة تماماً هذه المرة!

جلسا أرضاً ووضعا أذنيهما على الأرض، فجاء الصوت واضحاً جلياً، قامت رغد بالطرق على الأرض عدة مرات، فتوقف الصوت تماماً لوهلة قبل أن تعود الطرقات متتابعة وأقوى بكثير من المرات السابقة، انتفض جسدها في ذعر وهبَّت واقفة ثم أطلقت العنان لقديما نحو الطابق العلوي، ألقت بنفسها على سريرها وغطت وجهها بلحافها وشرعت بالبكاء، بكاء حار يحمل مزيج من الخوف والندم على تركها منزلها القديم!

بينما ظل نديم مكانه يفكر فيما يجب عليه فعله، ثم خطرت بباله فكرة، فقام بإزاحة جميع السجاجيد التي تغطي أرض الطابق السفلي وظل يبحث في كل شبرٍ منه عن باب أو مدخل إلى الأسفل، لكن بلا جدوى!

مرت أكثر من ساعة وهو يدقق البحث مراراً دون أن يصل إلى نتيجةٍ تُذكر فاستقر في اعتقاده أنها أشباحٌ تسكن هذا المنزل بلا شك!

****

في صباح اليوم التالي بعد أن أصبح نديم جاهزاً لمغادرة المنزل متجهاً إلى عمله، تحدث مع رغد بصوتٍ مهموم قائلاً:
-"لحسن الحظ أن العمل لا يبعد سوى قرابة العشر دقائق عن هنا، إذا حدث أي شيء واحتجتِ لحضوري اتصلي بي وستجدينني أمامك في دقائق معدودة!"

أخذت رغد نفساً عميقاً محاولةً السيطرة على ما أثارته عبارة نديم في نفسها من توتر، وحاولت رسم ابتسامةً مصطنعة على شفتيها فشلت تماماً في إخفاء ارتباكها وهي تجيبه قائلةً:

-"لا تقلق سيكون كل شيءٍ على ما يرام"

أجابها بإيماءةٍ من رأسه ثم انصرف مغادراً. سارعت رغد بتشغيل التلفاز ورفع صوته إلى أقصى درجة لكيلا تسمع الطرقات حتى عودة نديم، أعدت طعام الإفطار وجلست في الردهة تتناوله وهي تشاهد التلفاز، ثم اخذت تتأمل جمال تصميم الحائط الشرقي للردهة على يمينها، كان الحائط مطلياً باللون الأسود تتوسطه رسمه فراشة ذهبية كبيرة، في منتصفها تماماً ثلاث دوائر رأسية تملؤها قطع كريستالية تعكس الضوء الساقط عليها فتتلألأ على نحوٍ مبهر، الدائرتين العلوية والسفلية ترمزان للرأس والأقدام وهما أصغر حجماً من الدائرة في المنتصف والتي تمثل جسم الفراشة.

لم تستطع رغد مقاومة إعجابها بجمال الرسمة فاقتربت من الحائط وهي تتحسس القطع الكريستالية المضيئة بيدها فوجدت عليها بعض الأتربة، اتجهت رأساً نحو المطبخ وأحضرت منشفة قطنية لتنظيفها، وأثناء تنظيف الدائرة الوسطى فوجئت بها تنضغط إلى الداخل، ثم فتح الحائط من منتصف الفراشة تماماً إلى جزئين، الجزء

الأيمن به الدائرتين العليا والسفلى والجزء الأيسر به الدائرة الوسطى وكأنهم كانوا قطعة من البازل تم تركيبها بدقة متناهية!

كانت الفتحة عرضها لا يتجاوز المترين وارتفاعها يمتد من بداية الرسمة من الأعلى إلى الأرض، تجمدت الدماء في عروق رغد واتسعت عيناها عن آخرهما في ذهولٍ تام، وبخطواتٍ بطيئة مرتجفة عبرت الباب الصغير، ثم ضغطت مفتاح الإضاءة لتنتفض كل ذرةٍ في كيانها!

****

كاد قلب نديم يتوقف حينما رأى اتصال من رغد على شاشة هاتفه لم يكن قد مضى على مغادرته للمنزل سوى ساعة واحدة فقط، أسرع بإجابة اتصالها فجاءه صوتها يحمل ذعر الدنيا وهي تقول:

-"تعال فوراً أرجوك! يجب أن ترى ما وجدته بنفسك!"

انطلق نديم بسيارته كالمجنون عائداً إلى المنزل، ودخل مسرعاً يبحث عن رغد بعينيه فوجدها جالسة على الأريكة في منتصف الردهة ترتعد خوفاً، ودموعها تغطي وجهها، صاح قائلاً:

-"ماذا حدث؟"
فأشارت بيديها المرتجفتين نحو الحائط، نظر نديم إلى حيث تشير فانطلقت من حلقه شهقة عالية حينما رأى ذلك الباب الصغير مفتوحاً، تقدم نحوه بخطواتٍ مترددة وعبره ليرتعد ذعراً من هول ما رأى!

غرفة صغيرة طولها مترين تقريباً وعرضها كذلك، كل جدارٍ من جدرانها الثلاثة تتوسطه شاشة صغيرة معلقة، الشاشة على يمينه يظهر فيها جسد شاب ممدد على الأرض لا تصدر منه أية حركة تدل على كونه حياً، ويده اليسرى مقيدة في سرير مجاور له، والشاشة في المنتصف يظهر فيها شاب آخر، مستلقي على السرير لا تظهر ملامح وجهه بشكلٍ واضح لكن جسده يتحرك ببطء بين الحين والآخر على نحوٍ يوحي بأنه يتأوه في ألم، أما الشاشة الثالثة على يساره فكان يظهر فيها سريرٌ خالي، لاحظ أن الشاشات تنقل الصورة فقط دون أي أصواتٍ تذكر، اتسعت عيناه فجأة ثم التفت نحو رغد قائلاً:

-"كاميرات مراقبة!"

تحركت نحوه بخطواتٍ ثقيلة وهي تمسح دموعها قائلةً:

-"نعم أدركت ذلك! فبعد أن فُتح ذلك الباب الصغير كاشفاً عن الغرفة المظلمة من خلفه، تجمدت مكاني لعدة دقائق من المفاجأة ثم أمسكت بهاتفي المحمول بعد أن فتحت كشافه وسلطتُّ الضوء على ما يوجد بالغرفة فتأكدت أنها خاليه ليس بها سوى تلك الشاشات المعلقة فقط، فدخلتها وأنا أبحث عن مفتاح الضوء وما أن ضغطه حتى فُتحت الشاشات الثلاث تلقائياً، ظللت أحدق فيها بعض الوقت وأنا أحاول استيعاب ما تراه عيناي، ظننت في البداية أنها تعرض فيلماً مسجلاً، حتى تحركت فتاة كانت راقدةً على هذا السرير!"

وأشارت بإصبعها على الشاشة الثالثة، ثم ازدردت ريقها بصعوبة وتابعت حديثها:

-" كانت هنا ثم اعتدلت بتهالك، انتفض جسدي حين رأيتها فهيأتها مرعبة كثيراً، يدها اليسرى متدلية تبدو وكأنها مكسورة، وشعرها متناثر حول ورأسها يبدو أنه لم يصفف منذ مدة طويلة، تلفتت حولها حتى وقعت عيناها على شيء جعلها تنتفض على نحوٍ مفاجئ ثم تقدمت باتجاهي وهي تحدق في حتى ظننت لوهلة أنها تراني، يبدو أنها عرفت أن الكاميرات قد تمَّ تشغيلها، ثم أخذت تُلَوِّح بيدها وهي تبكي وتحاول قول شيءٍ ما لم أفهمه لعدم وجود صوت، بعدها تحركت حتى اختفت عن نظري تماماً لا أعلم أين ذهبت؟!"

لم تكد تتم عبارتها حتى سمعا الطرقات قوية للغاية، التفتا نحو الشاشات بحركةٍ تلقائية، فوجدا الفتاة تظهر في الشاشة الأولى على يمينهما وهي تقف على أطراف أصابعها فوق كرسي وضعته أعلى السرير الخالي الذي يرقد الشاب أرضاً بجواره، وتمسك في يدها اليمنى بجسمٍ معدني وتطرق على السقف بكل ما أوتيت من قوة!

تبادل كل من نديم ورغد نظرات تحمل الكثير من الفزع والذهول قبل أن يقول نديم بصوتٍ مرتجف:

-"إنهم تحتنا أسفل هذا المنزل! بلا شك يوجد قبو!"

الجزء الثالث

ظل نديم ورغد يبحثان في كل شبر من المنزل والحديقة المحيطة به عن مدخل القبو بلا جدوى، حتى أنهكهما التعب فجلسا في الردهة يلتقطا أنفاسهما قليلاً، قالت رغد بأنفاسٍ متقطعة:

-"أنا لا أفهم شيئاً! كيف يعقل أن يكون هناك قبو بلا سلم أو مدخل يوصل إليه؟ وما معنى وجود هؤلاء الشباب بداخله على هذا النحو العجيب، إذا كنا نحن أول من استأجر هذا المنزل فكيف وصلوا إلى هنا ولماذا؟!"

أطلق نديم زفرةً حارة وقد أدرك أنه حان وقت المصارحة وعليه إخبارها بالحقيقة، فقصَّ عليها ما أخبره به السمسار عن صاحب المنزل الذي سكنه قبلهما لسنوات قبل أن يعثروا على جثته، رمقته رغد بنظرة تحمل مزيجاً من الذهول والغيظ الشديد، ثم انعقد حاجباها واحمر وجهها من فرط الغضب وتحركت في عصبية مبتعدةً عنه، فأمسك نديم بذراعها وهو يقول في أسف:

-"أرجوكِ سامحيني يا رغد لم أشأ ازعاجك، فالمنزل جميل للغاية وقريبٌ جدا من العمل، وكما تعلمين لم يكن لدي متسع من الوقت للبحث عن بديل، وبعد أن نفهم ما يجري هنا أعدك أنني سأبحث عن منزل آخر وستختارينه بنفسك لننتقل إليه في أقرب وقت"

صمتت رغد لوهلة ثم فاجأته بقولها:

-" هل يعقل أن يكون ذلك الرجل قد احتجزهم بالمنزل قبل موته؟!"

ارتفع حاجبي نديم في دهشة وقبل أن يجيبها بحرف قطع حديثهما صوت الطرقات وقد عادت من جديد، فالفتاة كانت تبذل جهداً كبيراً لتفعل ما تفعله ثم تلقي بجسدها المنهك على السرير لترتاح قبل أن تعيد الكرة ثانيةً، ركضت رغد نحو الغرفة الصغيرة تحدق في الشاشات أمامها يتبعها نديم، توقفت الفتاة عن الطرق وهي تجاهد لالتقاط أنفاسها من فرط التعب، قبل أن تستدير باتجاه الكاميرا وترسم شكلاً مستطيلاً في الهواء وهي تحرك شفتيها محاولةً إظهار نطق كلمةٍ معينة، اقتربت رغد من الشاشة كثيراً محاولة تفسير حركة شفتيها لفهم ما تقول، فاخترق صوت نديم أذنيها قائلاً:

-"مِصعد! إنها تقول مِصعَد!"

زوت رغد بين حاجبيها وهي تجيبه قائلةً:

-"ماذا؟! مصعد! كيف وأين لقد بحثنا في كل شبرٍ من المنزل"

تنهد نديم في ضيق وهو يحرك رأسه موافقاً:

-"نعم أنت محقة! لا فكرة لدي أين يمكن أن يكون؟!"

قاطعته رغد في حماس:

-"لمَ لا نبلغ الشرطة ونتركهم يتصرفون؟!"
انقبض قلب نديم مع ذكر الشرطة وقال في عصبية:

-"بالطبع لن أفعل! قد نورط أنفسنا في أمرٍ لا زلنا نجهله كلياً! سأبلغهم لكن ليس الآن! فلنبحث ثانيةً طالما تأكدنا من وجود قبو فحتماً هناك وسيلة للوصول إليه وسنعثر عليها، نحتاج فقط للتفكير جيداً!"

ثم نظر إليها بعينين تتقدان جدية قائلاً:

-"أعيدي على مسامعي بالتفصيل كيف فتحتِ ذلك الباب!"

****

بعد أن أنهت رغد إعادة سرد كيفية فتحها للباب الصغير للمرة الثالثة على مسامع نديم، تحرك نديم نحو الغرفة الصغيرة تحديداً إلى الحائط الأوسط، ثم التفت نحوها قائلاً:

-"هذا يفسر سبب وجود تلك النوافذ من الخارج فقط! فهناك مساحة فاصلة بين الجدار الخارجي والحائط الداخلي للمنزل"

ثم استطرد حديثه بنبرةٍ واثقة:

-" من المؤكد أن المصعد موجود في هذا الجدار أيضاً، علينا إيجاد مدخله"

بعدها قاما بالضغط على جميع الزخارف الموجودة بالحائط الشرقي للدور السفلي أملاً في أن تكشف عن مدخلٍ سري لذلك المصعد، لكن لا أثر لأي شيء، اتسعت عينا رغد فجأة وقد خطرت ببالها فكرة قالتها وهي تركض نحو الخارج:

-"قد يكون باب المصعد موجود بالخارج في نفس الجدار"

تحركا معاً نحو الجدار الشرقي للمنزل من الخارج وجعلا يضغطان على كل جزءٍ فيه لعلهما يعثران على باب المصعد، لكنهما لم يصلا إلى شيءٍ أيضاً فأصابهما الإحباط الشديد، اقترب نديم من النافذة وأزاح شيش الحصير الألومنيوم الخارجي كما فعل من قبل محاولاً النظر إلى الداخل لكن ذلك كان مستحيلاً مع وجود الشيش الداخلي، فزفر في ضيقٍ بالغ ثم قال بحنق مخاطباً رغد:

-" لقد تعبت! ويظهر من تصميم المنزل أن كل شيء مقصود ومعدٌّ بشكل دقيق للغاية، الأمر أعقد مما تصورت، سأبلغ الشرطة ليس أمامي خيارٌ آخر!"

ربتت رغد على كتفه محاولةً التخفيف من توتره:

-"هذا أفضل ما يمكننا فعله لإنقاذ هؤلاء المساكين، ولا تقلق فبقليل من التحريات سيعلمون أننا لا علاقة لنا بالأمر برمته"

أجابها موافقاً بإيماءةٍ من رأسه ثم قال في خفوت:

-"لكن سأنتظر للصباح فالوقت متأخرٌ للغاية الآن وأنا مجهدٌ كثيراً"

ثم صعدا إلى الأعلى متجهين نحو غرفة نومهما في الناحية الغربية من الدور العلوي.

استغرق نديم في نومٍ عميق خلال دقائق معدودة، بينما أبى عقل رغد أن يتركها تنام، فلم ينقطع لثواني عن التفكير في كل ما يحدث!

مضى أكثر من ساعة وهي تتوسل إلى عقلها ليتيح لها المجال أن تغفو ولو لدقائق دون جدوى، قفز إلى ذهنها فكرة ففتحت جفنيها عن آخرهما وقد طار النوم منهما كلياً، وقامت بخطواتٍ سريعة متجهة نحو الغرفة الثالثة بالطابق العلوي والتي يشكل الجدار الشرقي للمنزل جزء من أحد حوائطها، أضاءت الغرفة ثم جلست تحدق في الرسمة الموجودة على حائطها الشرقي والذي يقع على مسافة أكثر من أربعة أمتار

شمال شرق الباب الصغير الذي فتح في الدور السفلي من الجدار ذاته من المنزل، خطر ببالها أن باب المصعد قد يكون بداخل هذه الغرفة، فهما طوال الوقت كانا يبحثان في الأسفل!

على الحائط أمامها رسمة ثلاثية الأبعاد تغطي حوالي ثلاثة أرباع مساحته، لطريق طويل يحيط به أشجار كثيفة متشابكة من الجانبين، لم يكن بالرسمة أي جزء بارز كما في حائط الدور السفلي، لكن شيئاً لفت انتباهها في إحدى زوايا الرسمة، انطلقت راكضة نحو غرفة نومها وهي تنادي نديم قائلةً:

-"استيقظ يا نديم أعتقد أنني وجدته"

فتح نديم جفنيه بصعوبةٍ بالغة وقال مغمغماً بصوتٍ متحشرج:

-"نامي يا رغد سأبلغ الشرطة في الصباح"

لكنها لم تعطه الفرصة ليغمضهما ثانيةً فجذبته من ذراعه رغماً عنه متجهةً نحو الغرفة الأخرى، سار معها بعينين مغمضتين تقريباً، فأشارت إلى زاوية الرسمة قائلةً:

-"انظر!"

نظر إليها في حنقٍ قائلاً:

-"ماذا؟ لا أفهم؟!"

فأجابته بحماسٍ غير مبرر:

-"هذه الرسمة ليست مرسومةً بالطلاء كرسمة حائط الدور السفلي بل هي ورق حائط تم إلصاقه بشكلٍ غير متقن، انظر إلى هذه الزاوية يظهر من تحتها رسمة الحائط الحقيقية والتي لونها مغاير تماماً للون الرسمة على ورق الحائط، لا شك أنها أُلصقت لتخفي ما تحتها"

دقق نديم النظر إلى حيث تشير رغد، فلاحظ بوضوح صحة كلامها، مد يده إلى ورق الحائط محاولاً إزالة جزء منه فوجده يزال بكل سهولة، لقد صدقت رغد في استنتاجها أنه لم يتم إلصاقه بشكلٍ متقن، لكنه تقطع وهو يحاول إزالة أجزاءٍ منه فقال في أسف:

-"لقد أفسدنا شكل الحائط الجميل وسنحتاج بعض المواد غير المتوفرة لدينا الآن لإتمام إزالته"

لم تكن رغد لتصبر حتى الصباح فأجابته وهي منهمكة في إزالة أجزاءٍ إضافية منه:

-"لا نحتاج لإتمام إزالته الآن كل ما نريده هو الكشف عما يوجد تحته"

لم تكد تتم عبارتها حتى ظهر أمامها جزء واضح من بابٍ خشبي تم تلوينه ليظهر كجزءٍ من رسمة الحائط المحيط به لمن لم يدقق النظر في وجوده، لكن رغد رأته بوضوحٍ تام فصاحت في سرور:

-"لقد عثرت عليه"

ابتسم نديم رغماً عنه وهو يتابعها تزيل باقي أجزاء الورق المحيط بالباب في حماسٍ بالغ، لكنها شهقت في غيظٍ شديد حينما وجدته مغلق بالمفتاح!

غمغم نديم في يأسٍ قائلاً:

-"رائع هذا ما كان ينقصنا! تصبحين على خير تابعي أنتِ البحث عن المفتاح وحدك"

أجابته وهي تنطلق راكضةً نحو الأسفل:

-"لقد عثر عليه مسبقاً أثناء توضيبنا للأغراض، كان في أحد أدراج المطبخ، تعجبت حين رأيته وظننته يخص أحد أبواب الغرف فتركته مكانه حتى أعرف لاحقاً أي بابٍ يخصه، وها أنا ذا قد عرفت!"

أحضرت المفتاح في سرعةٍ مذهلة ووضعته في قفل الباب ثم أدارته ففتح بسهولة ليكشف عن مصعدٍ صغير يبدو كعلبة زجاجية مغلقة، فُتح بابه الزجاجي تلقائياً مع فتح الباب الخشبي، مساحته بالكاد تكفي لشخصين متلاصقين، صرخت في سعادة غامرة وهي تنظر إلى نديم الذي بادلها بدوره بنظرة إعجابٍ قائلاً:

-"كم أنا محظوظ بزوجتي الذكية ذات العقل المخابراتي الفذّ"

ثم اكتسب صوته وملامح وجهه جدية مفاجئة وهو يستطرد حديثه قائلاً:

-"إلى هنا انتهى دورك يا عزيزتي سأنزل وحدي لا أحد يعلم كم من المفاجآت ينتظرنا بالأسفل!"

الجزء الرابع

لم تستسلم رغد لقرار نديم في أن ينزل إلى القبو بمفرده، فظلت تلح عليه باستماته حتى انصاع لرغبتها في النهاية بشرط أن تبقى بجوار المصعد وإذا حدث أي شيء غير طبيعي تصعد إلى الأعلى فوراً.

ركبا المصعد الذي بالكاد اتسع لكلاهما والذي جدرانه من الزجاج السميك، لم يكن به سوى زرين فقط فضغط نديم الزر السفلي، أُغلق باب المصعد الزجاجي وتحرك متجهاً نحو الأسفل، لفت انتباه نديم رؤية إحدى نوافذ الجدار الشرقي للمنزل أثناء هبوطهما إلى القبو في منتصف المسافة تقريباً بين الدور العلوي والقبو، وصلا أخيراً إلى القبو وفُتِح الباب الزجاجي للمصعد، غادره نديم أولاً وهو يدير نظره في المكان جيداً قبل أن يشير إلى رغد لتغادره، مع مغادرتها أُغلق الباب الزجاجي تلقائياً، حدق فيه نديم قليلاً باستغراب لكنه شعر بالاطمئنان حينما وقعت عيناه على زر أحمر مضيء على الجدار الملاصق للمصعد ففهم أنه لفتحه.

أذهله ما رآه فأمامه شقة كاملة وليس مجرد قبو عادي، في الناحية المقابلة للمصعد بالضبط مطبخ صغير به عدد كبير من العلب البلاستيكية المصفوفة، مستطيلة الشكل بداخل كل منها ستة أوعية من الأطعمة المعلبة تملأ قرابة نصف مساحة المطبخ، وعلى يساره ممر طويل في جانبه الأيمن ثلاثة أبواب مفتوحة وفي نهايته باب مغلق، وعلى حائطه الأيسر شاشة كبيرة معلقة.

أشار إلى رغد ثانيةً لتبقى بجوار المصعد ثم تحرك بخطواتٍ حذره نحو الممر، وقبل أن يصل إلى الباب الأول خرجت منه الفتاة تترنح على نحو أثار فزعه وما أن وقعت عيناها عليهما حتى صرخت في سعادة بالغة وهي تبكي وتكرر في انفعالٍ شديد:

-"الحمد لله، شكراً لكما!"

لم تستطع رغد مقاومة تأثرها بردة فعل الفتاة فاتجهت نحوها راكضةً واحتضنتها بين ذراعيها وهي تربت على كتفها محاولةً تهدئتها قائلةً:

-"كل شيء سيكون على ما يرام!"

توقفت الفتاة عن البكاء فجأة وقالت في توتر شديد وهي تشير إلى باب الغرفة الأولى قائلةً:

-"طارق! لا أعلم إن كان لايزال حياً أم لا، إنه في غيبوبة منذ أيام يحتاج إلى الإسعاف"

ركض نديم إلى الداخل مسرعاً وقام بوضع أذنه على صدر طارق يستمع لنبضات قلبه فسمعها ضعيفة للغاية، التفت نحو رغد والفتاة اللتان تبعتاه إلى داخل الغرفة وهو يقول في أسفٍ بالغ:

-"لا يزال حياً لكن نبضه ضعيف للغاية قد نفقده في أية لحظة"

عضت الفتاة على شفتها السفلى في مرارة ثم قالت بصوتٍ مرتجف:

-"إياد في الغرفة المجاورة حالته سيئة جداً هو الآخر أرجوكم أسرعوا بإنقاذه!"

قاطعتها رغد قائلة:

-"من فعل بكم هذا ولماذا؟!"

أجابها نديم في عصبية قائلاً:

-"ليس الآن يا رغد لنخرج من هنا أولاً ثم سنعرف كل شيءٍ لاحقاً"

أومأت برأسها إيجاباً في خجل قبل أن تغادر الغرفة مع نديم خلف الفتاة التي تحركت نحو الغرفة المجاورة حيث إياد راقد على سريره يتأوه في ألم ويده اليسرى مقيدة في السرير بواسطة إسورة حديدية يتدلى منها سلسله معدنية ملفوفة حول القضيب المعدني للسرير ومغلقة بقفلٍ ضخم، فتح إياد عينيه في إجهادٍ شديد وهو ينظر إليهم غير مصدق لما تراه عيناه، بادرته الفتاة القول:

-"سنخرج من هنا يا إياد اصمد قليلاً"

لم يتمالك إياد نفسه وسالت دموعه في مرارة، فقال نديم بحزم:

-"علينا العثور على مفتاح هذا القفل"

أجابته الفتاة في أسف:

-"لا تتعب نفسك في البحث ليس هنا، بحثت عنه كثيراً دون جدوى لقد صعد به إلى الأعلى"

نظر نديم إلى يدها اليسرى المتدلية على نحوٍ يبعث الشفقة وهو يسألها:

-"وكيف استطعت أنتِ الخلاص من قيودك؟!"

ألقت بنظرة حزينة على يدها اليسرى وهي تجيبه:

-" ظللت أحاول إخراجها من الحلقة المعدنية دون فائدة، حتى شعرت بأنني على وشك الموت فاتخذت قراري بتخليص نفسي منها مهما كان الثمن، فسحبتها بكل ما أوتيت من قوة حتى نجحت في ذلك لكن عظام رسغي تهشمت تماماً"

انتفض جسد رغد من هول ما سمعته وربتت عليها بحنانٍ قائلةً:

-"أنت شجاعة للغاية لو لم تفعلي ذلك لكنتِ في عداد الأموات الآن، ما اسمك؟!"

-"أنا مِسْك"

-"وأنا رَغَد، لا تقلقي يا مسك سنأخذك إلى المستشفى فور خروجنا"

أومأت مِسك برأسها إيجاباً، بينما قال نديم في جدية:

-"علينا كسر الحلقة إذن"

أجابته مسك:

-"لا أعتقد أنك ستجد هنا ما يمكن أن يساعدك، فالمطبخ ليس به سوى عدد كبير من الأطعمة المعلبة فقط لا غير"

سألها نديم:

-"وماذا يوجد خلف الباب المغلق؟"

-"حمام صغير"

قالت رغد في حماس:

-"بإمكاني الصعود إلى الأعلى وإحضار حقيبة بها بعض المعدات التي قد تساعنا كالمطرقة والمنشار"

قاطعها نديم قائلاً:

-"سأذهب أنا لإحضارها"

ثم تحرك نحو باب المصعد وضغط الزر الأحمر المضيء ليُفتح بابه الزجاجي، لكنه ما أن ضغطه، حتى تحرك المصعد صاعداً إلى الأعلى!

صرخ نديم في هلع قائلاً:

-"اللعنة!"

بينما كادت رغد تسقط مغشياً عليها وظلت مِسك تصيح كالمجنونة قائلة:

-" لماذا يا كامل لماذا؟؟؟"

بترت عبارتها فجأة وأعين ثلاثتهم متجمدة على الشاشة المعلقة على حائط الممر والتي ظهر فيها فجأة فيديو لرجل يتكلم قائلاً:

-" طالما أن هذا الفيديو يعرض الآن، فهذا يعني أن هناك من استطاع الوصول إلى القبو وكشف سري، أو بالأحرى وقع في فخي!

ذلك الزر الأحمر بجوار المصعد هو مجرد خدعة لا يضيء سوى بنزول المصعد إلى القبو، وبالطبع ضغطه يعني أن أحداً غيري قد نزل إليه، فلفتح باب المصعد من داخل القبو طريقة أخرى لا يعرفها أحد سواي.

ووصولكم إلى القبو يعني أيضاً أن المرض قد هزمني أخيراً ولم أعد موجوداً في هذا العالم، وأعتقد أن ضيوفي الأعزاء قد غادروه أيضاً، أكثر ما يضايقني أنني لن أتمكن من رؤية وجوه آباءهم وهم ينوحون على فقدهم!

دعونا منهم الآن ولتنتبهوا لحديثي جيداً، وجودكم في قبو منزلي عقابه الموت! ولكن لأنني حنون بطبعي كما بتُّم تعرفون ذلك وأحب التسلية فقد صممت لعبة محكمة ستستمعون بها كثيراً حتى تلفظوا أنفاسكم الأخيرة!

سأمهلكم اثني عشرة ساعة للعثور على وسيلة للخروج من القبو، نعم! هناك طريقة واحدة فقط للخروج من القبو دون استخدام المصعد، فكروا جيداً فهي فرصتكم الوحيدة للخروج منه أحياء أو بالأحرى للخروج منه أصلاً!

آه نسيت إخباركم شيء هام! لقد بدأ العد التنازلي للإثني عشرة ساعة منذ اللحظة الأولى التي ضغطتم فيها زر المصعد، بمجرد انتهائها سيُفتح صمامٌ للغاز سيملأ القبو بأكمله في أقل من خمس دقائق فقط!

نصيحة أخيرة، لا تضيعوا وقتكم في البحث عن طريقة لإيقاف المؤقت، فأنا أؤكد لكم أنني لو كنتم معكم بنفسي لما استطعت فعل ذلك طالما بدأ بالعد، أراكم قريباً في الجحيم!"

ثم انطلقت من حلقه ضحكةٌ مجلجلة قبل أن ينتهي عرض الفيديو.

خيم الصمت والذهول على ثلاثتهم قبل أن تقطعه صيحات إياد القادمة من غرفته وهو يقول:

-" اللعنة عليك يا كامل! فكّوا قيودي أرجوكم لا تتركوني هكذا"

اعتصر نديم عينيه بقوة ثم قال بعصبية مخاطباً رغد:

-"أخبرتك ألا تأتي! كان بوسعك مساعدتنا الآن وإبلاغ الشرطة لكن عنادك سندفع ثمنه غالياً"

فرت من عينيها دمعة ندم لا معنى لها الآن، ثم قالت بصوتٍ مرتجف:

-"كيف لرجلٍ ميت أن يفعل ذلك؟!"

أجابها في سخط:

-" لقد أجاب سؤالك بنفسه، قال بأنه قد أعدَّ كل شيءٍ مسبقاً وضغط الزر الأحمر بجوار المصعد كان إشارة البدء"

سرت ارتجافه في جسدها مع عبارته وسألته في توسل:

-"أليس معك هاتفك المحمول؟!"

رمقها بنظرة غيظٍ مشتعلة قبل أن يجيبها ساخراً:

-"هاتفي المحمول؟! ألا تذكرين كيف جذبتني من ذراعي وأنا نائمٌ تقريباً نحو غرفة المصعد"

غطت رغد وجهها بكفيها في مرارة، ثم استمرت صيحات إياد وهو يتوسل ليفكوا قيوده، فدخل إليه نديم في إصرار وقد عزم على مساعدته وهو يقول محاولاً طمأنته:

-"سأبذل ما في وسعي لمساعدتك يا إياد، فقط اهدأ قليلاً حتى أجد وسيلةً لذلك"

تأمل كثيراً في أجزاء السرير الذي يرقد عليه إياد، ثم اتسعت عيناه فجأة وقد خطرت بباله فكرة فغادر الغرفة مسرعاً باتجاه الغرفة الثالثة الفارغة والخاصة بمِسك، اتجه نحو سريرها وأزاح ما عليه من فرش ومرتبة، لتظهر من أسفلها ألواح من الخشب العريض أخذ أحدها و عاد إلى غرفة إياد، ثم طلب منه أن يمسك جيداً بطرف السلسلة المتصل بالحلقة المعدنية ليثبته باستخدام يده اليمنى، وقام بوضع جزء من السلسة فوق القضيب المعدني المحيط بالجانب الأيسر للسرير وطلب من رغد تثبيته جيداً من ناحية القفل، ثم بكل ما أوتي من قوة ظل يطرق على الجزء من السلسة الملاصق للقضيب المعدني مِراراً حتى نجح في تحطيم جزء من إحدى حلقاتها كان كافياً لفصلها عن باقي الحلقات، اعتدل إياد غير مصدقاً أنه أصبح حراً قادر على الحركة أخيراً، كانت الحلقة الحديدية لا تزال تحيط بمعصمه يتدلى منها جزء من السلسة المعدنية، لكن ذلك لا يعيقه عن الحركة، وأول ما فعله هو أن غادر سريره واعتصر نديم بذراعيه وهو يبكي ويردد بامتنانٍ شديد:

-"شكراً لك!"

ربت نديم على كتفه وهو يغمغم في خفوت:

-"ليت ذلك كان كافياً لنجاتك"

نظر إليه إياد في إصرارٍ قائلاً:

-"سنخرج من هنا، أعدك بذلك!"

تمنى نديم لو كان بإمكانه تصديق حرف مما سمعه، فاكتفى بهزّ رأسه متظاهراً بالموافقة، بينما يجتاح كيانه شعورٌ جارف بأن في انتظارهم كارثةٌ كبرى لا أحد يعلم كيف ستكون نهايتها!

الجزء الخامس

"بقي تسع ساعات!" قالتها رغد وهي تنظر إلى الرقم الظاهر على شاشة ذلك المؤقت الصغير المثبت في أحد أركان سقف المطبخ!

ثلاث ساعاتٍ مرت من الاثني عشرة ساعة، لم يتوقف أحدهم عن التفكير والبحث عن وسيلة الخروج التي أخبرهم كامل بوجودها، لكن التعب واليأس أعياهم كثيراً، فأخذوا بعض الأطعمة المعلبة من المطبخ وجلسوا يتناولون الطعام في غرفة إياد، سألتهما رغد ذلك السؤال الذي لا ينفك يتردد في عقلها قائلةً:

-"من هو كامل؟ ولماذا فعل بكم ذلك؟!"

تنهدت مسك في أسف ثم بدأت تحكي لها ما حدث من البداية:

-"كان كامل ووالدي ووالد إياد وكذلك والد طارق أصدقاء منذ زمن بعيد، قرروا ذات يومٍ أن يؤسسوا شركة ويصبحوا شركاء في إدارتها!

كامل كان مهندس عبقري بمعنى الكلمة، كان أنجحهم وأكثرهم ذكاءً، فدوماً ما كان يحصل على القدر الأكبر من طلبات العملاء والعمولات حتى كوّن ثروة باهظة، وذات يومٍ طالبهم بأن يكون له النصيب الأكبر من أسهم الشركة وبالتالي تنتقل الإدارة له وحده، أو أن يفض الشراكة معهم ويؤسس شركة له بمفرده مما يعني خسارة فادحة لشركتهم!

أجَّج حديثه نار الحقد والغيرة في نفوس ثلاثتهم والتي كانت مشتعلةً بالفعل قبل سنوات وتتزايد كلما مرَّ الوقت، لكن طلبه قد أوصلها إلى الحد الأقصى، فاجتمعوا ودبروا له مكيدة قانونية محكمة استطاعوا بواسطتها الحصول على حكمٍ بسجنه ودفع تعويض كبير للشركة، ثم ساوموه على التنازل عن القضية مقابل تنازله هو عن نصيبه في الشركة ودفع التعويض، فقبل مرغماً حتى لا يسجن، وعلى الرغم من تنازلهم عن القضية إلا أن ما حدث قد دمر سمعته ونال من نجاحه فكانت شهرته هي السلاح الذي ذبحه، ثم اختفى بعدها ولم يعرف عنه أحدٌ شيئاً منذ ذلك الحين منذ ما يقارب الأربع سنوات.

لكن يبدو أنه ظل طوال تلك الفترة يخطط للثأر منهم، فنجح في اختطافي إلى هنا قبل ثلاثة أشهر، اعترض طريق سيارتي ذات يوم وافتعل مشاجرة معي، عرفته منذ

اللحظة الأولى التي وقعت فيها عيناي عليه لكن قبل ان استوعب ما يحدث كان قد خدرني وأحضرني إلى هنا، وبعد حضوري بأيامٍ قلائل أحضر طارق ثم إياد، كنا نتحدث مع بعضنا نحن الثلاثة من الحين للآخر رغم وجود كلٍ منا في غرفةٍ منفصلة.

وعلى الرغم من أنني عرفت كامل منذ أن رأيته إلا أن شكله كان قد تغير كثيراً، أصبح نحيلاً للغاية وجهه شاحب تظهر عليه آثار المرض جلية، وذات يوم أثناء إحضاره الطعام إليّ باغتته نوبة شديدة أظن أنه كان مريضاً بالقلب، رأيته يضغط على صدره من الناحية اليسرى في ألم وهو يتعرق ويتنفس بصعوبة ثم سارع بمغادرة القبو، بعدها بأيام انقطع عن النزول إلينا، حتى شعرت بأنني سأموت من الجوع والعطش فاتخذت قراري بتخليص يدي من تلك الحلقة مهما كان الثمن حتى نجحت في ذلك، وسارعت بإحضار الطعام إلى طارق وإياد، لكن الإعياء الشديد كان قد نال من كليهما فقد كان كامل يداوم على إجبارهما على تناول بعض العقاقير المهدئة حتى لا يحاولا الهرب والتي تركت تأثيراً بالغاً على جسديهما، من حسن حظي أنه لم يفعل ذلك معي فأنا لم أشكل أي مصدر للقلق من وجهة نظره!

وبعد فترةٍ من انقطاعه عن النزول إلينا، سمعت جلبةً بالأعلى ظللت أنادي وأصرخ بلا جدوى لم يسمعني أحد فصوتي كان بالكاد يخرج من حلقي من شدة ضعفي وألمي مما فعلته بيدي، ثم سكن كل شيء لأيامٍ طويلة لا أعرف عددها حتى ظننت أننا هالكون لا محالة مسألة وقتٍ فقط خاصةً مع فشلي في إيجاد وسيلة للخروج! لكن عاد الأمل إليَّ ثانيةً مع وصولكم ففكرت في طريقةٍ أخرى غير الصراخ لأطلب بها النجدة، نجحت في خلع مقبض صنبور المياه ووضعت الكرسي فوق سريري وظللت أطرق على السقف، وعندما رأيت ضوء اللمبة الصغيرة أعلى كاميرا المراقبة عرفت أنها قد تم تشغيلها وهناك من يراني، شعرت بسعادةٍ لا توصف وظننت بأننا على وشك الخلاص من هذا الكابوس لم أكن أتوقع أن تصل الأمور إلى ما نحن فيه الآن مطلقاً!"

نظر إليها إياد بمزيجٍ من الامتنان والشفقة بينما عقبت رغد على حديثها بقولها:

-"لازلت لا أفهم لماذا تكبد المدعو كامل كل هذا العناء؟ كان يمكن أن يقتلكم مباشرةً وينهي الأمر؟!"

أجابها إياد قائلاً:

-" أنتِ لا تعرفين كامل! لم يكن قتلنا مباشرةً ليشفي غليله، لقد كان مهووساً بصنع الخطط والألاعيب ليظهر مدى عبقريته في تنفيذها، كان يتلذذ بنجاحه في اختطافنا دون قدرة أحدٍ على العثور علينا، تطربه توسلاتنا إليه ليتركنا، كما يستمتع بتعذيب آبائنا ومتابعة بحثهم عنا دون وصولهم لأدنى أثر يقودهم إلينا، لم يكن هدفه الأول هو قتلنا، بل كان ما يبحث عنه هو لذة الانتقام!

ذات يومٍ أحضر لي مقطع فيديو لوالدي كان قد سجله وأعلن فيه عن مبلغ ضخم من المال لمن يعثر عليّ أو يدل على مكاني، للوهلة الأولى لم أعرفه! حزنه على اختفائي قد بدل ملامحه كلياً، رأيته يبكي بحرقه للمرة الأولى في حياته، لقد نجح كامل في كسره وإذلاله، كان يقهقه مستمتعاً وهو يتابع معي مقطع الفيديو"

عقب نديم في مرارة:

-"لقد خطط لانتقامه بدقة متناهية"

قاطعته مسك في توتر:

-" مضت ساعة أخرى! لا نريد إضاعة المزيد من الوقت، علينا التفكير بشكلٍ منظم فالبحث العشوائي عن باب مختبئ خلف الجدران قد أضاع منا ساعاتٍ ثمينة"

هز نديم برأسه إيجاباً ثم قال:

-"معكِ حق يا مسك، فالمخرج ليس باب اعتيادي سيقودنا للخارج، علينا التفكير بشكلٍ مختلف!"

قاطعته رغد قائلة:

-"المصعد! لقد قال بأن هناك طريقة لفتح باب المصعد لا يعرفها أحدٌ سواه، يمكن أن تكون هي وسيلة الخروج، قد تنجح تلك الطريقة في إنزال المصعد إلى هنا ومن ثمَّ خروجنا بواسطته!"

عقب إياد قائلاً:

-"يبدو كلامك منطقي للغاية، علينا اكتشاف تلك الطريقة إذن! لكن من أين نبدأ؟ لقد بحثنا في كل شبرٍ من القبو ولم نشاهد أي زر يمكن أن يكون له صلة بالمصعد"

خيم عليهم الصمت لبرهة قبل أن يقطعه نديم بسؤاله لمسك:

-"هل حاولتِ ضغط ذلك الزر من قبل نزولنا؟!"

مطت شفتيها وهي تجيبه:

-"حاولت مراراً لكنه كان منطفئ لم يضئ سوى مع نزول المصعد إلى هنا!"
تبادر إلى ذهنه سؤال مفاجئ أثارت اجابتها انتباهه إليه، فقال مستفهماً:

-" وكيف لم تنقطع الكهرباء طوال فترة تواجدكم هنا بعد موته خاصةً أن المنزل كان مغلقاً؟!"

أجابته مسك بقولها:

-"للقبو عداد كهرباء منفصل يتم فتحه وغلقه من هنا، لم نتأثر بإغلاق كهرباء المنزل في الأعلى"

ارتفع حاجبيه وهو يسألها قائلاً:

-"وأين هو صندوق ذلك العداد؟!"

أجابته بقولها:

-"موجودٌ على الجدار المجاور للمطبخ له غطاء معدني مطلي بنفس لون الجدار "

تحرك نديم مسرعاً نحو المطبخ يتبعه ثلاثتهم، ثم فتح غطاء صندوق الكهرباء، لتتسع ابتسامته في زهو حينما وقعت عيناه على لوح أزرارٍ صغير أسفل مفاتيح الكهرباء، ثم قال في ثقة:

-"أعتقد أنني عثرت عليه!"

تبادل كل من رغد ومسك وإياد نظرات تشي بعدم فهم ما تشير إليه عبارة نديم فاستطرد موضحاً:

-"لوح الأزرار الصغيرة هذا ليس له أدنى علاقة بمفاتيح الكهرباء، وجوده هنا مجرد وسيلة لإخفائه لا أكثر"

ثم اكتسب صوته جدية أكثر وهو يضيف قائلاً:

-" على الشاشة الصغيرة أعلى لوح الأزرار، يظهر مكان لستة أرقام، مما يعني أن مهمتنا الآن هي معرفة الشفرة الصحيحة التي يفترض بنا ضغط تلك الأزرار بها لإنزال المصعد"

هوت كلماته كالصاعقة على رؤوس ثلاثتهم فصاحت رغد قائلةً:
-"ومن أين لنا أن نعرفها؟!"
مط شفتيه وهو يجيبها:

-"ليس لدي أدنى فكرة لكن علينا المحاولة"

*****

محاولات مضنية تخللتها الكثير من الجدال والنقاش ومحاولة استرجاع حديث كامل من ذاكرة كلٍ منهم، ووضع الاحتمالات المنطقية واللا منطقية استمرت لأكثر من ثلاث ساعاتٍ متواصلة، أملاً في الوصول إلى شفرة إنزال المصعد، ومع فشل محاولاتهم المتكررة قرروا وضع أرقام عشوائية لكن في كل مرة كانوا يضغطون فيها زر الإدخال لا يجدون سوى كلمة " Error" "خطأ" تظهر على شاشة لوح الأزرار، صاحت رغد في نفاد صبر:

-"غير معقول، ذلك الرجل مجنون بلا شك!"

قالتها وهي متجهة في عصبية نحو الحمام، أغلقت بابه بقوة ثم اتجهت نحو الحوض وفتحت الحنفية وأخذت تغسل وجهها بالماء البارد محاولةً التهدئة من روعها قليلاً، ثم نظرت إلى وجهها في المرآة وسالت دموعها في حرارة حزناً على ذلك المصير المؤلم الذي ينتظرهم والذي بات قريباً للغاية!

ثم تجمدت أنظارها على شيء تنعكس صورته في المرآة أمامها، فاستدارت نحو الباب خلفها ودققت النظر لتخرج من حلقها شهقةٌ عالية، ثم فتحت الباب وانطلقت

راكضةً وهي تنادي على نديم بأعلى صوت، حدق فيها في ذهول فقالت وهي تشير نحو الحمام قائلةً:

-"لقد عثرت عليها"

تبعها نديم فأدارت الباب وهي تشير بسبَّابتها إلى ستة أرقامٍ صغيرة للغاية بالكاد تُرى محفورة على الناحية الداخلية للباب الخشبي، تهللت أسارير نديم وسارع بحفظه ثم ركض عائداً إلى لوح الأزرار وأدخل الرقم في حماسٍ بالغ ثم ضغط زر الإدخال!

إحباطٌ شديد عصف بهم جميعاً حينما ظهرت على اللوحة أمامهم كلمة "Error"!

ألقى نديم بجسده على الأرض ووضع كلتا يديه على رأسه وقد فقد الأمل كلياً!
اتجهت مسك بخطواتٍ متثاقلة نحو غرفتها وألقت بنفسها على سريرها ثم دخلت في نوبة بكاءٍ حار، بينما اعتصرت رغد عينيها في ألم عميق فارتسمت أمامها صورة الأرقام التي رأتها في المرآة، انطلقت من حلقها شهقة عالية ثم فتحت عينيها عن آخرهما قبل أن تقول في حماس:

-"الأرقام معكوسة!"

تحركت نحو لوحة الأزرار بحركة آلية وأدخلت الأرقام معكوسة ثم ضغطت زر الإدخال، لم تصدق عينيها حينما أضاءت الشاشة أعلى لوحة الأزرار أمامهم باللون الأخضر معلنةً صحة الشفرة المكتوبة!

ومع ظهور الضوء الأخضر على اللوحة حدث آخر شيء يمكن أن خطر على بال أحدهم على الإطلاق!

الجزء السادس

ما أن ضغطت رغد زر الإدخال بعد أن كتبت الأرقام الستة بشكلٍ معكوس ثم أضاءت الشاشة أعلى لوح الأزرار باللون الأخضر حتى سمعوا صوت كامل يأتيهم من الشاشة المعلقة في منتصف الممر!

انتابتهم حالة من الذهول وتبادلوا نظرات التعجب والدهشة فليس ذلك هو الصوت الذي كانوا بانتظار سماعه بل صوت نزول المصعد!

ركض إياد نحو الشاشة وكذلك خرجت مسك من الغرفة راكضةً تتابع الفيديو الذي بدأ عرضه للتو ويظهر فيه كامل يضحك ساخراً وهو يقول:

-" نسيت إخباركم في المرة السابقة أنه لا توجد وسيلة لإنزال المصعد من داخل القبو بعد ضغط الزر الأحمر!

أعلم أنكم بذلتم جهد كبير للوصول إلى هذه النقطة التي لم أتوقع أن يصل إليها أحد من الأساس، كما أنكم بلا شك أضعتم الكثير من الوقت أيضاً، لكنكم كنتم تسيرون في الطريق الخطأ منذ البداية ومن يخطئ عليه أن يدفع الثمن! وثمن خطؤكم سيكون غالياً للغاية، ثمنه نصف الوقت المتبقي!"

قالها وأُنتهى عرض الفيديو تاركاً الجميع في حالةٍ يُرثى لها، ركض نديم نحو المؤقت ليجد الرقم المكتوب هو "2:23" ثم قال بصوتٍ مرتجف:

-"اللعنة! لقد عدنا إلى نقطة البداية ولم يتبقَّ سوى ساعتين ونصف تقريباً"

بكت رغد في حسرة وقالت في ندمٍ شديد مخاطبةً نديم:

-"أنا آسفة كل هذا بسببي! ليتني انتظرت حتى تبلغ الشرطة، ليتني سمعت كلامك وبقيت في الأعلى، حينها كان بمقدوري طلب النجدة"

رمقها نديم بنظرة تحمل مزيجاً من الشفقة والضيق، لكن الوقت غير ملائم كلياً للوم ولا جدوى منه بالأساس، فربت على كتفها محاولاً تهدئتها دون أن يعقب بكلمة، شعرت رغد أنه لا يريد لومها فتضاعف إحساسها بالندم والأسف، ازدردت ريقها في توترٍ شديد قبل أن تقول في خفوت:

-"نديم! هناك أمر كنت أؤجل إخبارك به حتى ننتهي من توضيب منزلنا الجديد، أنا حامل!..."

لم يعِ نديم ما سمعته أذناه للتو فقد تمنى سماع هذه الجملة منذ أكثر من سنتين، اتسعت عيناه عن آخرهما وقال مدهوشاً:

-"ماذا تقولين يا رغد؟ حامل!"

أجابته بإيماءةٍ من رأسها تصاحبها الكثير من دموع الحسرة قبل أن تجيبه:

-"علمت قبل أسبوعين وفضلت الانتظار حتى نستقر في منزلنا الجديد لأخبرك"

غطى نديم وجهه بكفيه واعتصر عينيه بقوة محاولاً منع نفسه من الانفجار ثم انطلقت من حلقه صرخة مجلجلة تحمل كل الألم والعجز الذي يشعر به في تلك اللحظة!

ثم أخذ يكرر في جنون وهو يضرب الحائط بكلتا يديه:

-"سنخرج من هنا أيها اللعين!"

تحرك إياد نحوه ببطء وأخذ يربت على كتفه في محاولةٍ يائسة لتهدئته وهو يقول:

-"اهدأ يا نديم أعدك أن نخرج من هنا أحياء، حاول أن تسترخ قليلاً حتى يمكنك التفكير خذ نفس..."

ثم بتر عبارته فجأة واتسعت عيناه وهو يقول متسائلاً:

-"كيف نتنفس؟! من أين يدخل الهواء إلى هذا القبو؟ لم يخطر ببالي هذا السؤال سابقاً لأنني كنت مقيداً في السرير منذ اللحظة التي أفقت فيها من المخدر الذي خدرني به كامل قبل إحضاري إلى هنا، ظننت أن هناك نوافذ قد يدخل منها الهواء!"

انتفض نديم قائلاً:

-"النافذة! كيف لم تخطر ببالي من قبل؟!"

ثم تحرك نحو مكان المصعد والذي كان عبارة عن ممر رأسي سقفه هو الجزء السفلي من المصعد، وفي منتصف الممر تقريباً توجد النافذة، لكن حاجباه انعقدا فجأة وهو يغمغم:

-"لكن تلك النافذة مغلقة لقد تأكدت من ذلك بنفسي إذن كيف تمكنتم من التنفس كل تلك المدة؟!"

أجابته مسك قائلةً:

-" يوجد نظام تهوية في كل من المطبخ والحمام، أعتقد أنه متصل بالحديقة فهو ينقل الأصوات بشكلٍ واضح وفي نهايتها شفاطات تدخل الهواء إلى القبو، كما يوجد شفاط تفريغ هواء في كل غرفة أعتقد أنه متصل بأنظمة التهوية على نحوٍ ما، هذا مجرد استنتاج فليس لدي خبرة كبيرة في تلك الأمور"

ابتسم نديم في شفقة قائلاً:

-"كيف يمكن لفتاةٍ مثلك أن تلاحظ كل ذلك!"

شبح ابتسامة ارتسم على شفتيها وهي تجيبه في مرارة:

-"الرغبة في الحياة! أيام طويلة وأنا لا أتوقف عن البحث والتفكير، فكرت في أمر فتحات التهوية تلك لأخرج منها لكنها صغيرة للغاية لا يمكنني دخولها من الأساس، خفت أن أحاول فأفسد نظام التهوية الذي بالكاد يبقينا أحياء!"

غمغم إياد قائلاً:

-"جيد أنكِ لم تفعلي"

قاطعتهم رغد بقولها:

-"لكن ذلك لا ينفي أن تلك النافذة قد تكون المخرج بالفعل! كل ما علينا فعله هو الوصول إليها وفتحها ثم القفز في الحديقة"

أجابها نديم:

-"ليت الأمر بتلك البساطة! المسافة عاليةٌ جداً لا وسيلة لدينا للوصول إليها!"

****

نظر إياد إلى المؤقت ثم عضَّ شفته السفلى في مرارة عندما قرأ الرقم المكتوب والذي كان "1:12"!

مضى أكثر من ساعة وهم يحاولون وضع أشياء مكان المصعد ليصعدوا فوقها إلى النافذة، لكن المساحة كانت ضيقة والنافذة مرتفعة للغاية فلم ينجحوا في إيجاد حلٍ حتى الآن، أمسك إياد بإحدى علب الأطعمة وألقاها في عصبية وهو يصرخ في غضبٍ هادر، ثم تجمدت عيناه على علب الأطعمة وصاح قائلاً:

-"العلب!"

حدّق فيه نديم في إعجاب شديد وقد قرأ ما يدور في ذهنه، ثم قال في حبور:

-"رائع يا إياد فكرة ممتازة!"

سارعوا برصِّ العلب بجوار بعضها في صفوفٍ منتظمة تمتد على طول الجدار أسفل النافذة، ثم تابعوا وضع الصفوف الواحد تلو الآخر، صفوف متجاورة ثم صفوف رأسية، حتى أصبحت العلب تشكل متوازي مستطيلات طوله ثلاث علب وعرضه أربع، وأضلاعه الشمالي والشرقي والغربي ملاصقة لجدران الممر!

لكن المشكلة كانت في ارتفاعه! بدأ الخوف يسري في عروقهم عندما ظهر جلياً أمامهم أن العلب على وشك الانتهاء والمسافة إلى النافذة لا تزال كبيرة، نظر نديم نحو المؤقت ليجد الرقم المكتوب "0:48"، سرت في جسده قشعريرة باردة وقد بدأ يدرك أن النجاة شبه مستحيلة، لكنه حاول تحفيز نفسه قائلاً في إصرار:

-"من أجلك يا بُنَيّ!"

ثم استمر في رص العلب يساعده كل من مسك ورغد وإياد، ربع ساعة أخرى انقضت قبل أن يصلوا إلى الصف الأخير من العلب الموجودة على أرض المطبخ والتي ما أن شرع إياد في رفع بعض العلب عنها حتى صاح في ذهولٍ قائلاً:

-"يا إلهي! سُلَّم!"

كان السُلَّم بداخل مجرى محفور في أرض المطبخ بدقة تامة على مقاسه بالضبط، لا يمكن رؤيته سوى بإزاحة علب الصف الأخير من جبل العلب الذي كان يشغل قرابة نصف مساحة المطبخ، أخرج إياد السلم وهو يلقي نظرة خاطفة على المؤقت الذي كان الرقم المكتوب عليه "0:29"، أسرع بإعطائه لنديم الذي قام بسحبه على الأعلى ليمتد طوله متر إضافي، ثم قال في حزم:

-"علينا وضعه فوق العلب"

قاطعته رغد متسائلة:

-"وهل ستصمد دون أن تقع؟!"

أجابها في تردد:

-"أعتقد أنها ستصمد! فكل علبة بداخلها ست أوعية من الأطعمة المعلبة، مما يعني أنها ليست خفيفة الوزن، كما أنني حرصت على أن تكون الصفوف ممتدة من الجدار الشرقي وحتى الغربي لتكون أكثر ثباتاً"

مطت رغد شفتيها في حيرة وهي تتمنى من أعماقها أن يكون على صواب!

فكر نديم قليلاً ثم تذكر طاولة خشبية صغيرة كانت في غرفة مسك فطلب من رغد إحضارها ثم وضعها مقلوبة فوق سطح الصف العلوي من العلب، ليكون سطحها ملاصق لسطح العلب وأرجلها للأعلى، حتى يتمكن من الوقوف عليها، ثم قفز في ذهنه صورة الكرسي الذي كانت تضعه مسك فوق السرير لتطرق على الحائط، فقال في انفعال:

-"احضري الكرسي بسرعة يا مسك!"

ركضت مسك إلى غرفة طارق ثم عادت وهي تجر الكرسي بيدها اليمنى، ساعدتها رغد وحملته إلى نديم، خاطبهم في جدية بالغة قائلاً:

-"أمامنا فرصة واحدة فقط وأخيرة لا مجال للخطأ، إياد عليك الوقوف والضغط بظهرك على العلب حتى لا تسقط حين صعودي عليها، وأنتِ يا رغد ستمسكين بالسلم وتعطيه لي حينما أطلب منكِ ذلك"

أومأت برأسها موافقة ثم أمسكت السلم بكلتا يديها في تأهب، وقف إياد كما طلب منه نديم، بينما وضع نديم الكرسي أمام إياد مباشرةً في أقرب نقطة من العلب، بعدها وقف على الكرسي ثم صعد بخفة فوق الطاولة المقلوبة!

زاد إياد من ضغطه على العلب حتى لا تسقط، بينما صاح نديم مخاطباً رغد:

-"أعطني السلم!"

وقفت على الكرسي وهي تحمله فأخذه منها وثبته جيداً ثم صعد عليه بحذرٍ شديد، لم يصدق نفسه حينما وصل إلى النافذة بالفعل، أدخل جسده تحت شيش الحصيرة الألومنيوم وفتح قفل النافذة ثم جرها لتُفتح بكل سهولة، بقي أن يدفع بجسده خارجها، لم يكن الأمر سهلاً كما ظن في البداية لكنه نجح في ذلك أخيراً!

كانت سقطةً مؤلمة على الأرض فالمسافة ليست قريبه، لكنه ما ان لمست قدماه الأرض حتى انطلق راكضاً مقاوماً ألمه إلى داخل المنزل يبحث عن محبس الغاز ليغلقه!

في تلك الأثناء كانت رغد تحاول الصعود إلى النافذة بالطريقة ذاتها حتى وصلت إليها لكنها خافت على جنينها من القفز إلى الأرض فظلت جالسة على النافذة بعض الوقت في تردد، سمعت صوت إياد يصيح قائلاً:

-"أسرعي يا رغد لم يبقَ سوى إحدى عشرة دقيقة"

ظلت متجمدةٌ مكانها لا تجرؤ على فعلها تصارع خوفها على جنينها باستماته، لكنها حسمت أمرها في النهاية وزفرت في استسلام، ثم أمسكت ببطنها وأغمضت عينيها قائلةً:

-"آسفة يا صغيري" ثم قفزت!

لكنها لم تقوَ على النهوض شعرت بدوار شديد يعصف برأسها ثم غابت عن الوعي!

****

قال إياد مخاطباً مسك:

-"هيا يا مسك أسرعي لقد حان دورك"

قالت في مرارة:

-"بل دورك أنت يا إياد لا أمل لي في الخروج بتلك الطريقة فيدي اليسرى كما ترى لن أستطيع التوازن على السلم"

تعالت ضربات قلب إياد من فرط التوتر وهو ينظر إلى المؤقت الذي يظهر عليه الرقم: "0:7" ويقول بصوتٍ مرتجف:

-"لا وقت للجدال يا مسك لم نتكبد كل هذا العناء ليبقى أحدنا هنا"

تلألأت في عينيها دمعة حزنٍ قبل أن تقول بنبرةٍ يائسة:

-"أنا أعلم هذا منذ اللحظة الأولى التي قرر فيها نديم الخروج عبر النافذة"

أخذت نفساً عميقاً ثم تابعت في إصرار:

-" هيا أفسح لي المجال لآخذ دورك في إسناد العلب ولا تضيع وقتك في الحديث"

تردد إياد كثيراً وحاول الجدال معها لكنها أصرت على رأيها، فقال في إصرار:

-" سأخرج لأجد طريقة لإنقاذك أعدك أن أُخرجك من هنا على قيد الحياة"

سالت من عينيها دمعةٌ حارة وحاولت الابتسام في صعوبة ثم أسندت العلب وقام إياد بالصعود.

****

كاد نديم يجن ليصل إلى محبس الغاز والذي كان مرتفعاً كثيراً، لكنه نجح في الوصول إليه بعد عناء ثم قام بإغلاقه، لكنه خشي أن يكون ذلك المجنون كامل قد استخدم وسيلة أخرى لإطلاق الغاز في القبو فلا شيء مستبعد عنه!

ركض مسرعاً إلى هاتفه المحمول بالطابق العلوي واتصل بطوارئ شركة الغاز وطلب منهم فصل الغاز عن منزله كلياً!

*****

صُعق إياد حينما وجد رغد ملقاة على الأرض فحملها وركض بها إلى داخل المنزل، هوى قلب نديم حينما رآها على تلك الحال، فسارع برش بعض الماء على وجهها، لكنه تنفس الصعداء حينما استعادت وعيها وظلت تتلفت بنظرها حولها غير مصدقةً عينيها أنها في منزلها أخيراً، ثم ابتسمت في وجهه قائلة:

-"أنا وصغيري بخيرٍ لا تقلق"

****

نظرت مسك إلى الرقم على المؤقت والذي كان يشير إلى دقيقة ونصف، مرت عليها كدهرٍ كامل قبل أن يصل المؤقت إلى الصفر!

بدأت بعدها تسمع وتشم رائحة الغاز ودموعها تنهمر في غزارة وعبارة كامل تتردد في أذنيها:

-"سيملأ الغاز القبو في أقل من خمس دقائق!" مضى منهم نحو دقيقتين، ثم توقف كل شيء فجأة! توقف تدفق الغاز تماماً، بعدها سمعت إياد يحدثها من النافذة صائحاً وهو يقول:

-"لقد أغلقوا الغاز عن المنطقة بأكملها! لا تخافي يا مسك أمامنا الوقت كله لإخراجك، الشرطة والإسعاف في طريقهما إلى هنا، سيكون كل شيء على ما يرام لقد انتهى الكابوس يا مسك حمداً لله على سلامتك!"

ألقت مسك بجسدها المنهك على الأرض وانهمرت دموعها بغزارة! لكنها كانت دموع الفرحة هذه المرة والتي لم تكن تتوقع أن تعرف طريقها إلى عينيها ثانيةً أبداً!

تمت.

الكاتبة مها سيد عبد الرحمن كاتبة رواية "مملكة سيڤارا"

الصفحة الرسمية للكاتبة:

https://www.facebook.com/Maha-Sayed-Abdelrahman-مها-سيد-عبد-الرحمن-1179731167136093/

KINGDOM OF SEVARA
مملكة
سيفارا
رواية
مها سيد عبدالرحمن